الاسبوع القادم تنطلق الدورة 59 والفلسطيني أيليا سليمان عضواً في لجنة التحكيم الدولية:

مهرجان «كان» السينمائي يزيح الكبار وينتصر لسينما الشباب وتوريات السياسة واستعادات التاريخ والنزعات الاجتماعية أبرز القضايا

زياد الخزاعي *

إيليا سليمان

لقطة لفيلم شفرة دافنشي، (تحت) الملصق

لولا المصرية المقيمة في كندا المخرجة تهاني راشد (مواليد القاهرة 1947، درست في أكاديمية الفنون بمونتريال، وقدمت باكورتها الوثائقية عام 1973، ولها «أربع نساء» 1977، «سريدا، أمراة من فلسطين» 2004) وفيلمها الجديد « البنات دول» الذي سيعرض خارج منافسات خانة « نظرة ما» لكان العرب وسينماهم، كرّة أخرى، في حكم الاقصاء ضمن قوائم عروض الدورة التاسعة والخمسين لمهرجان كان السينمائي الدولي (من 17 وحتى 27 من الشهر الجاري)، ورغم ذلك فلن يشفع لهم أختيار اللجنة المشرفة لاسم المخرج الفلسطيني المميز صاحب « يد الهية» و«وقائع أختفاء» أيليا سليمان ضمن فريق لجنة التحكيم الدولية التي سيرأسها الصيني وانغ كار واي صاحب « في مزاج الحب»2000 (ضمنهم الممثلة الايطالية مونيكا بلوتشي ونظيرتها البريطانية هلينا بوهام كارتر والصينية تسانغ زيي والمخرجة الارجنتينية لوكريثيا مارتيل والممثل الامريكي صوموئيل ل جاكسون وزميله البريطاني تيم روث وأخيراً المخرج الفرنسي ذائع الصيت باتريس لوكونت.أما منافسات «نظرة ما» فسيرأسها مونتي هيللمان، فيما يرأس الاخوان البلجيكيان الحائزان على سعفة ذهبية العام الماضي عن «الطفل» المخرجان لوك وجان بيير داردين لجنة تحكيم «الكاميرا الذهبية») أضافة الى زج أسم تونس وسينماها ضمن أحتفائية «كل سينمات العالم» التي سيرتفع علمها الوطني مع عروض سينمائية مختارة جنباً الى جنب مع كل من أسرائيل التي تتواجد هذا العام بزخم قوي ومدروس في كل زاوية من كان وافلامها تعرض في أغلب الخانات!! فيما يتمترس منتجيها وموزعيها وصحافيها وأقطاب صناعتها وعلى مدى الايام العشرة الاساسية للمهرجان داخل الباحة الخاصة بالسينما الاسرائيلية في سوق الفيلم ذي التأثير الهائل على مستويات البيع والتوزيع ونسب الحضور على المشهدية السينمائية الدولية، داعمين اسم سينماهم وصنّاعها في أجتماعات وصفقات وتنظيم أستراتيجيات تسهم في تواصلهم مع أقرانهم في هوليوود وتضمن أختراقاتهم الدؤوبة لاسواق العالم، في حين يصر المسؤولون العرب على أستغبائهم السينمائي والأعلامي، وأصرارهم على تقديم أنفسهم كشهداء للتنافس غير المنصف، وأنغماسهم في فورة الفضائيات سيئة المقاصد والمنابت على حساب صناعة الفيلم التي تشهد تخريباً وأنهياراً منظماً لصالح حيتان جديدة ذات أرتباطات مالية مشبوهة سنتصدى لها نقدياً في القريب العاجل. هناك تحيات مماثلة لكل من روسيا، سنغافورا، سويسرا، فنزويلا، تشيلي في حضور 80 مخرجاً منها للتداول والتعريف بافلامهم.

من محاسن الصدف للحضور العربي المخاتل، وأن كان تحت أسم فرنسا، ان يقع الاختيار للمنافسة ضمن المسابقة الرسمية على المخرج والمنتج الجزائري المفرنس رشيد بوشارب (له نصوص مشهود لها بالفرادة على شاكلة «باتون روج» 1985، «شاب» (حاصل على جائزة الشباب في مهرجان كان 1991، «غبار الحياة» 1995، «السنغال الصغيرة» 2001) وجديده «أيام المجد» الذي بلغت ميزانيته 18 مليون دولار ومكنته من أعادة مشهديات ملحمية حول أفراد الكتيبة الشمال أفريقية (من المتطوعين المغاربة والجزائرين) التي أبلت خلال مشاركتها الحرب ضد النازيين وحكومة فيشي. والعنوان يعود الى ايام عامي 1944 ـ 1945 التي شهدت معارك ضروس لتحرير ايطاليا والألب ووادي الرون. أنها حكايات أربع شخصيات هم سعيد (الممثل جمال دبوز)، ياسر (سامي نصري)، عبد القادر (سامي بوجحلة)، مسعود (رشدي زيم) من ضمن 110 الف متطوع من المغرب والجزائر (هناك 20 ألفا من سود أفريقيا)، يرصد بوشارب الانقلابات الكبرى في حيواتهم ومصائرهم ومواجهاتهم للموت على الجبهات، ومثلها الحنين الى الاهل البعاد. يعيد بوشارب التحية لهؤلاء المجهولين الذين تسميهم فرنسا بأصرار أستعماري بـ« الجنود الأهليين» او الوطنيين! أضافة الى أسم بوشارب سيعرض الموريتاني عبد الرحمن سيساكو (صاحب «في أنتظار السعادة») عمله الاخير «بماكو» خارج تنافسات «نظرة ما» ومثله الباكورة المشتركة لفيليب بارنو ودوغلاس غوردن حول نجم كرة القدم الفرنسية زين الدين زيدان.

السياسة وتورياتها،التاريخ وبصائره والنزعات الاجتماعية هي القضايا الثلاث الرئيسية التي جمعت في ما بين الأشرطة العشرين التي تتنافس داخل المسابقة الرسمية. لا أرتسم هنا خطوطاً تسبيقية من باب تقابلاتها الدرامية او معالجاتها الفنية، بل ان الهاجس ينصب على المديات المفتوح للسينما حينما تقارب مواضيع متشابهة العناوين، بيد أنها ستفاجئنا بخلاصاتها المتضاربة، شديدة التألق في أشتغالاتها. فكما ذهب بوشارب في تشريح فصل من التاريخ المخفي للحقبة الاستعمارية التي جاهدت في أغماط بطولات واستشهادات آلاف من متطوعي المستعمرات الافريقية، يعمد شريكه المخرج الفرنسي الموهوب برونو دومونت (صاحب «الانسانية» الحائز على جائزة التحكيم الخاصة لعام 1999) الى تشريح الحرب من باب أشد ايلاماً، انه يهرع بكاميرة جديده «فلاندرز» خلف ثلة من الجنود الشباب وجدوا أنفسهم في غمار حرب ضروس تقع اليوم في بقعة غريبة نائية (قد تكون حرب العراق) ليمتحن أخلاقياتهم وأيمانهم وقناعاتهم في مفاهيم القتل، العدو، الدم، الأنتصار والبربرية المعاصرة! شريط ضد الحرب؟ هكذا يبدو، غير أن دومونت الذي أثار ثلاث ضجات نقدية بدءاً من فيلمه الصادم «حياة يسوع» (عن العنصرية الحداثية في ريف فرنسا) و« 29 نخلة» (الذي فلسّف بغلو جلّي النزعات الطبيعية لرجل وأمراة يمارسان اقصى درجات غرائزهما في فيافي الولايات المتحدة!!)، و«الانسانية» (عن العصاب الجنسي وجرائمه) لن يترك موضوعه من دون سبّة سياسية ستثير الكثير من القيل والقال في الكروازيت خصوصا من قبل الصحافيين اليمينيين الاجانب الذين تعج بهم كان، ممن سبق لهم ان تحاملوا على الامريكي مايكل مور ونصه الاتهامي « فهرنهايت 9/11». فكيف بنص يمس ظاهرة الولوع الغربي بالحروب الاستباقية. الحرب هي ايضا بطلة شريط المكسيكي الشاب غوللير مو ديل تورو المتخصص بأفلام الفانتازيا والرعب «متاهة بان»، وهنا يمزج شغفه بهذا النوع التجاري (قدم سابقاً في هذا المضمار «العمود الفقري للشيطان» و«كوروس») وحكايات الحرب الأهلية في أسبانيا وبالذات منطقة نافارا عام 1944، يتابع الشريط العزلة التي ستقود بطلته الفتية نحو متاهتها الشخصية حينما تقرر الهروب من فواجع الحرب ومجازرها التي ستشهدها مع والدتها الشابة وزوجها بعد دخولهم في حماية آخر معاقل محاربي قوات فرانكو الفاشية قبل أن تنكّل بهم جميعا.

غير بعيد عن مروجي أنواع الحروب ومنها الاعلامية السيسة، يضع المخرج الايطالي ذائع الصيت ناني موريتي (سعفة ذهبية عام 2001 عن «غرفة الأبن») هدف تورياته الجارحة على شخص رئيس الوزراء السابق والقطب الاعلامي سيلفيو بيرلسكوني في عمله الكوميدي ـ السياسي الذي لقب فيه الاخير بـ«الكيمن» (كُنية تمساح أميركي أستوائي وهو عنوان الشريط) حول منتج سينمائي لافلام تجارية هابطة يعثر على ضالته في أنجاز شريط عن سيرة حياة السياسي الميلاردير. وجاء الأسلوب الأخراجي «الفيلم داخل الفيلم» ليمكّن موريتي من ضخ أكبر كمية من مواقف التندر التي يشتهر بها في جلّ أعماله السابقة.

المخرج من أرغواي أدريان ثاتيانو الذي عرف شهرة دولية عبر فيلميه السياسيين «بوليفيا» (2003) عن حلم الهجرة والثراء في الولايات المتحدة وقصة رجل يسعى الى ان يصبح أشهر طباخ! و«الدب الأحمر» (2004) عن معتقل سابق يسعى الى أعادة علاقته مع زوجته وأبنته بعيد أطلاق سراحه، عزز مواقعه أثر قرار أدارة كان قبل أيام نقل شريطه الجديد «وقائع تحليق» من خانة « نظرة ما » الى المسابقة الرسمية ويكشف عن خفايا واحد من أكثر المعتقلات وحشية في البلاد ويدعى «قصر الساعة الواحدة فجراً».

أما الأميركي ريتشارد لينكلاتر (له «قبل شروق الشمس» و«مدرسة موسيقى الروك») فيقتبس كتاباً شهيراً للكاتب أريك شلوسر عنوانه «أمة الوجبات السريعة» الذي تدارس فيه التأثير السياسي للشركات العملاقة في هذا السوق النافذ عالمياً، ومثله الاضرار الصحية التي تطال المولعين بها. وفضل لينكلاتر ان يمزج الكثير من الفصول التوثيقية مع مشاهد درامية تركز على عرض حالات الاستعباد في عمل ملايين من الهسبانك المهاجرين في مطابخ الفروع الاخطبوطية لهذه الشركات. من الممثلين الكثر فيه نذكر باتريشيا آركويت وأيثان هوك والمطرب الشعبي كريس كريستوفيرسن. ويساير عمل لينكلاتر ما سبق وأن قدمه مواطنه الشاب مورغن سبورلوك في « ضخموا حجمي» الذي كان سابقة سينمائية وضعت شركة ماكدونالدز في مواجهة طبية وصحية سارعت بسببه الى تخفيض معدلات مواد التسمين الداخلة في صناعة شائح الهمبورغر والبطاطس التي يقبل عليها جمهور عالمي واسع النطاق.

الصيني لو يي (له «الفراشة القرمزية» و «نهر زوتشو») يعود بنص تتخاتل السياسة فيه خلف قصة حب بين شابين تشهد لوعاتها أربع مدن صينية وخامستها العاصمة الألمانية برلين! شريط «القصر الصيفي» (140 دقيقة) يستعير أسمه من متنزه أمبراطوري شاسع وأخاذ يقع وسط بكين. وتمتد أحداثه من عام 1980 وحتى العام ,2000 المشكلة العالقة في كان على رغم أعلان مشاركته في المسابقة ان السلطات الصينية ما زالت تنتظر أجازة الرقابة لأطلاق سراح العمل الخامس للمخرج يي والسبب كثرة الاشارات السياسية الدولية مثل أنهيار الأتحاد السوفياتي وسقوط جدار برلين وعودة هونغ كونغ وأخيراً «السياحة» السياسية الشهيرة التي قام بها الرئيس الراحل دينغ زهاوبينغ الى المقاطعات الجنوبية والتي عدت الأنطلاقة الرسمية للخط السياسي الانفتاحي على رأسمالية الدولة. وتبدو المخاوف الرسمية غير واضحة لأهل كان كون الفيلم يخلو من أي أشارة لأخطر حدث سياسي محلي: مجازرساحة تيانمن!

في النص التاريخي، ما كان أحد يتخيل ان تنكر أدارة كان شريط الامريكية صوفيا كوبولا «ماري أنطوانيت» ليس لان سيئة الحظ هذه فرنسية الأصل، ليكون من الطبيعي، ومن باب الوطنية، أستضافة هذا العمل داخل المسابقة. هذه ليست القضية، الاساس ان كريمة مخرج «العراب» الكلاسيكي وجدت ضآلتها الدرامية، كما في فيلمها الأول «أنتحار العذارى» الذي وضعها على الخارطة كمخرجة موهوبة، في مأساة هذه الشخصية التي هوى رأسها بعد حياة عاصفة في باريس الثورة. يجوز ان ننعتها بدراسة سينمائية أنثوية لأمراة (تمثيل النجمة الشابة كريستن دانسيت) لم تحسب خطوات قوتها و مديات حظوتها في اروقة قصر فيرساي. كوبولا أستعمرت القصر الباذخ مدة شهرين وصرفت 24 مليون دولار من اجل أعادة يوميات حاشية الملك لويس السادس عشر. على نفس المنوال التاريخي يعود البريطاني المميز كين لوتش الى الكروازيت للمرة 12 (8 منها داخل المسابقة) بجديده «الريح التي هزت باريلي» الذي يتابع فيه مصير أخوين آيرلنديين أثناء حرب الاستقلال وما تبعها من حرب أهلية ما بين العامين الدمويين 1920 و1922، من دون أن يتخلى لوتش عن لمساته السياسية وألتزامه بحرفية ما تبقى من تيار السينما الحرة التي تظل أعماله مثل «الأجندة الخفية» و«الارض والحرية» تحمل بصماتها بوضوح.

بعد الجائزة الكبرى وجائزة أفضل ممثل في دورة العام 2003 عن تحفته الصغيرة «بُعد» يعود التركي نوري بيغلي تشيلان بجديده «مناخات» الذي يرصد فيه علاقة حب متعثرة تتغيرحسب المواسم والمناخات، ولوّن تشيلان كل منها بلون خاص، ليجمع عدد من أفلام المسابقة في سلة النزعات الاجتماعية، فـ«مناخات» يرصد، حسب ما تسرب عنه، العزلات التي تفرض على بطليه الشابين المثقفين. أنها مطاردة أجتماعية لحالة حب لا يريد أحد القبول بها. في «حكايات جنوبية» للامريكي ريتشارد كيلي الذي أشتهر بفيلمه الاول «دوني داركو» سنتابع علاقات مبتورة بين أناس يسعون بجهد جبار للحوز على القليل من الانتباه والأهتمام، وللمناخ هنا دور درامي كما في الشريط التركي. ففي يوم الاستقلال الامريكي المصادف الرابع من يوليو 2008 تمر على لوس أنجيليس موجة قيظ لمدة ثلاثة أيام تقلب الأمزجة وتحرفها، وبسببها تتصعب العلاقة بين بوكسر سانتاروي (تمثيل ذا روك) وهو ممثل أفلام حركة وأثارة يعاني من حالة فقدان ذاكرة والشابة كريستي (سارة ميشيل غيلار) ممثلة الافلام الاباحية الطموحة الى تقديم برنامجها الفاضح عبر تلفزيون الواقع. الفرنسية نيكول غارسيا تقرن أيضا المواسم بالعلاقات الاجتماعية في «حسب تشارلي» الذي تتعرض لسبع حيوات أنسانية (ستة رجال وطفل) في مدينة ساحلية تموت حياتها التجارية بعد أنتهاء موسم الصيف والعطلات، لتتغير رأسا على عقب خلال أيام ثلاثة مدة حكاية الفيلم. مواطنها خافيير جيانولي (فاز عام 1998 بالكاميرا الذهبية عن أفضل فيلم قصير) يذهب الى مدينة كيمون فيران بصحبة النجم الكبير جيرار ديباردیو الذي يؤدي دوراً غنائياً غير معهود في تجربته في «حينما كنت مغنياً» وهو هنا رجل في الخمسينات يؤدي وصلات غنائية في موسم سياحي ويعاني من رتابة قاتلة وجفاف عاطفي، قبل ان تنقلب حياته أثر تعرفه على شابة تعمل في مكتب عقارات وتعيش مع ابنتها الصغيرة ثمرة علاقة سابقة مفجعة. ما سيحدث هو تأسيس لآصرة عائلية ـ أجتماعية تزهر حباً والكثير من الجنس!!! هذه النزعة للتغيير ستكون الثيمة الاساسية في جديد الاسباني المميز بيدرو المودفار «العودة» حول ثلاث نساء يعشن في مدينة قادش الجنوبية ويبحثن عن الحب والسعادة والامان في مجتمع قاس. أما الايطالي بول سورينتينو (صاحب النص الباهر «عواقب الحب») فيقدم محنة أب في شريطه الجديد «صديق العائلة» يريد أن يضمن زيجة معتبرة لأبنته. فيما يستكمل الفنلندي آكي كاوريسماكي ثلاثيته عن العطالة في «أضواء في الغسق» وهذا النص هو عن الوحدة الفردية وبطلها حارس ليلي يعمل في بناية تقع في أحدى ضواحي العاصمة هلسنكي يعاني من أزمته العاطفية مع أمراة شبقة. من جانبه ايضا أستكمل المكسيكي أليخاندرو غونزاليس آناريتو ثلاثيته التي بدأها بـ«الحياة عاهرة» ومن ثم «21 غراماً» والقسم الثالث هو «بابل» الذي يغطي 36 ساعة لثلاث حكايات تقع أحداثها في كل من تونس، المغرب، اليابان، الولايات المتحدة، والمكسيك. العمل من تمثيل النجم براد بيت والاسترالية كيت بلانشيت والمكسيكي غيل غارسيا بيرنال.

فيلم الافتتاح (خارج المسابقة) للمخرج الامريكي رون هوارد «شفرة دافنشي» وحكايته عرفها الجميع مع الانتشار الشعبي لرواية دان براون بنفس الأسم حول السر الذي يخفيه الفاتيكان حول أبوة النبي يسوع والحقيقة المخفية في لوحة للايطالي دافنشي المحفوظة في متحف اللوفر، والتي سيكون على النجم الامريكي توم هانكس وزميلته الفرنسية أودري توتو فك لغز الجريمة الغامضة في أحدى قاعات المتحف الباريسي. التوقعات بان يكون الفيلم الذي سيستقطب الأهتمام الاوسع والسجالات الاعمق هو أشتغال المخرج البريطاني الشاب بول غرينغراس «يونايتد 93» الذي يعيد أفلمة أختطاف الطائرة الامريكية في الحادي عشر من أيلول على يد فريق اللبناني زياد الجراح وسقوطها لاحقاً في حقل ناء في ولاية بنسلفانيا، بعد محاولة الركاب أخذ زمام المبادرة وقتل الخاطفين قبل أرتطامها بالبيت الابيض!

لقطة من فيلم يونايتد 93

* ناقد من العراق يقيم في لندن

تداعيات

حكايا عن العودة

حنان بكير *

■ ينصرف الحديث عن حق العودة غالباً نحو القوانين الدولية والقرارات والحق المهدور، ورغم متابعتي لكل ذلك إلا أن حق العودة بالنسبة لي هو فعل إيمان غير مطروح للنقاش، وغير خاضع للمنطق وجدلياته.

ولدت في عكا، بعد اسبوع غطسني أبي في بحرها. الملح يشد الأجساد الغضة، هل كانت تلك نبوءة الألم لمن جاوروا البحر قروناً، فأعطاهم مرة الخير، وقذف إليهم كثيراً من أشكال العذاب؟ لكنها كانت نعمة لي، قد لا أمنحها ثانية بالعودة إلى مكاني الأول، لكن الأحفاد سيرجعون يوماً مع مواسم السنونو بعدما يتقنون النشيد.

شاءت الأقدار أن انتمي إلى الجيل الذي يسمى جيل النكبة بمعنى أني أقف بين جيل أبي الذي عاش شبابه في وطنه، وبين الأجيال التي ولدت في المنفى، فأنا ـ كرمز لهذا الجيل ـ الحبل السري الذي يربط مرحلتين.. فتغذيت على ذاكرة أبي وحكاياه.

بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982 جاء صديق لأبي من صيدا حاملاً رسالة شفوية من صديق قديم له ممن بقوا في أرضهم ولم يرحلوا، يقول الصديق لأبي: اتصل بي من خلال الصليب الأحمر الدولي لتأمين زيارة عكا لك وللعائلة. قفزت فرحاً، أخيراً سأرافق أبي إلى مسرح حكاياه وملعب طفولته ونضال شبابه، لكن الوجوم على وجه أبي أعادني إلى وقاري، والدمعة التي سبحت في عينيه الزرقاوين نقلتني إلى بحر عكا.. «لعل الحرب ذهبت بعقل هذا الرجل»! هكذا فكرت في نفسي. ولم استطع مناقشة الأمر إلا بعد أسبوع حين قال أبي: لن أذهب لعكا زائراً أو سائحاً، وأرى تشكيلة أمم تحتل أرضي وسمائي وبحري، إذهبي أنت ان شئت.

بعد موت أبي عملت على جمع شتات الذاكرة الفلسطينية من كبار السن. أصابني هوس جمع قصصهم قبل أن يرحلوا بعيداً. في لبنان ارتحلت جنوباً، شمالاً وبقاعاً، ألهث خلف تفاصيل الحياة التي ستضيع برحيل أصحابها، أكثر هؤلاء اليوم قد ارتحلوا بعد أن أودعوا ذاكرتي ما كانوا يخشون ضياعه تاركين أمانة حق العودة لنا.

الحاج فضة، ابن الثمانين سنة الذي يقطن شرق صيدا، يجوب عصر كل يوم أزقة صيدا القديمة كطقس عبادة، لأنها تذكره بزواريب عكا. الحاج حبوش شيخ الصيادين أيام عكا، عندما يمر على شاطئ البحر يشيح بوجهه عنه رغم عشقه له، لأنه بعد بحر عكا ما في بحر. وحين أردت يوماً مداعبته قلت له: البحر بحر ما الفرق؟ إنه المتوسط، رمقني بنظرات غضب واستخفاف وقال: لأنك جاهلة وما بتعرفي بحر عكا.

الحاج عبد في برج البراجنة، رغم احتفاظه بذاكرة تروي تفاصيل البلاد إلا أنه كان يصر كل يوم على الخروج قائلاً لزوجته: أنا رايح أصلي في الجزار، لا تنسي أن تقطفي البنفسج وان ترسليه إلى المطعم، فقد كان يملك مطعماً على شاطئ بحر عكا.

ولأن الرحيل صنو للفلسطيني فقد ارتحلت إلى الشمال البعيد البارد. كانت حرارة الانتفاضة في أشدها. غضب وقهر يملآن قلبي. كسرت قلمي وقلت: ما جدوى الكلام؟ وهل يكون للقلم قوة المدفع؟ عبث. لا شيء ينفع. عزفت عن مشروع يأساً، ووجدت نفسي ظهر كل يوم أسير مع آخرين كثر نعلن احتجاجنا وتضامننا أمام السفارات والمؤسسات الدولية.

أمام السفارة العبرية، تجمعنا من كل الأعمار والألوان من عرب ونرويجيين. شكل العسكر النرويجي درعاً بشرية أمام السفارة، منعاً لأي خلل أمني، وقد حدث المحظور، وبدأ قذف الحجارة مخالفين الاتفاق بأن تكون المسيرة سلمية. تدافعت خيول الشرطة بيننا، فتفرقنا، نحتمي بالأشجار توقياً من سنابك الخيل، وحدهم الأطفال وقفوا ملتفين بالحطاط الفلسطينية أمام الدرع البشرية يهدرون بأصوات مرتفعة. غافلت الخيل وتسللت نحو الأطفال.. الجنود كالتماثيل خلف دروعهم، الأطفال منفعلون يحدثون الجنود عن نكبة 1948، وعن مذبحة دير ياسين، وكفر قاسم، وعن مدنهم وقراهم التي سرقت وكان حديثهم باللغة النرويجية. سرت في قشعريرة دغدغت روحي. عدت ادراجي مهرولة أحتمي بقلمي واستميحه عذراً. إن المجزرة الحقيقية هي أن تجزر ذاكرتنا. عدت إلى بيروت. كلفت بمرافقة وفد جاء من فلسطين لزيارة مخيمات، في مخيم برج البراجنة تحلق الناس حول الزائرة يسألون عن أحوال البلاد. فسحت مجالاً ووقفت جانباً.. لفتني طفل لم يتجاوز السابعة أو الثمانية أعوام جاء راكضاً بثيابه المتواضعة جداً وقدميه الحافيتين، شق لنفسه طريقاً بين النسوة حتى وصل داخل الحلقة، دار دورتين أو ربما أكثر حول الزائرة التي تحمل عبق الأرض، رفع نظرات مندهشة من عينين زائغتين، مس طرف ثوبها كمن يمس شيئاً مقدساً، بدا كناسك في محرابه وسط دهشة الحاضرين قبل أن ينطق ويسأل: انتي جاية من فلسطين؟ اجابته: نعم. وإنتي راجعة لفلسطين؟ أجابته: نعم. «طيب سلميلي على الكابري»!! وأسرع الطفل عائداً من حيث جاء.

وتذكرت قبل سنوات عندما كنت في مخيم الرشيدية مع وفد إعلامي أوروبي.. حيث تجمهر الأطفال سائلين الصحافي الإنكليزي: صحيح انتو جايين تاخذونا على فلسطين؟ وصاح آخر: أمتى بدكم توخدونا على فلسطين؟ وصاح ثالث: احنا تعبنا هون!

كيف عرفت تلك الطيور المهاجرة أمكنتها الأصلية؟ ازداد إيماني بالقلم وتدوين الذاكرة.

حين ترجمت للصحفي ما قالوه دمعت عيناه، قلت: للأسف حكومتك هي السبب.

ما بين جيل رحل ولم يفرط، وجيل جديد يكبر لديه حلم العودة كل يوم، هل من حق احد كائنا من كان مصادرة هذا الحق؟

* كاتبة من فلسطين تقيم في أوسلو

اقامة اول معرض دولي للكتاب في اربيل شمال العراق

■ اربيل (العراق) ـ اف ب: افتتح امس الاثنين اول معرض دولي للكتاب في اربيل (350 كلم شمال) بمبادرة من مركز الشرق الاوسط للنشر والتوزيع وبالتعاون مع حكومة اقليم كردستان العراق وبمشاركة العشرات من دور النشر العربية والاجنبية والمحلية. وقال عصام خضير مدير مركز الشرق الاوسط للنشر والتوزيع لوكالة فرانس برس ان «المركز يعمل من الان من اجل ادراج اسم معرض اربيل الدولي للكتاب على قائمة المعارض الدولية ليقام كل عام وبانتظام في مدينة اربيل». واوضح ان «هناك كميات كبيرة من الكتب الاجنبية ستباع باسعار زهيدة ووضعت هذه الاسعار فقط للعراق وستكون الاسعار من 70 سنتا صعودا الى 8000 الاف دولار.

واشار خضير الى ان «26 من دور النشر العربية و17 من دور النشر الاجنبية من بريطانية وسويسرية والمانية تشارك في المعرض الذي يعرض 21 الف عنون كتاب متنوع و36 الف عنوان للمجلات العلمية.

ومن جانبه، اعلن عبدالله محمد وكيل وزارة المالية في حكومة اقليم كردستان العراق ان «الحكومة شاركت في تنظيم هذا المعرض وعملت على خفض اسعار الكتب بنسبة تتراوح بين 20–40 % على ان تتحمل حكومة اقليم كردستان العراق جزءً من هذا الخصم».

واكد ان «المعرض تظاهرة كبيرة واهميته تكمن في كونه اول معرض دولي للكتاب يقام في اقليم كردستان العراق وهناك عناوين جديدة لم يسبق ان دخلت كردستان العراق».

ويستمر المعرض لمدة سبعة ايام ويتضمن فعاليته بيع الكتب واقامة الندوات حول كيفية تنظيم المكتبات باسلوب حديث ومتطور وكذلك عملية شراء الكتب عن طريق الانترنت.